# تكامل العلوم الإنسانية والعلوم الشرعية في تحقيق مقصد السلم والأمن المجتمعي

# The Complemtarity between the Humanities and the Religious Sciences in the Achievement of Peace and Social Security

ذ. يوسف العزوزي[1]

PhD. Youssef ELAZZOUZI

## ملخص البحث:

موضوع التكامل المعرفي يؤذن بوجود هوة وفيصل بين أطياف العلوم المختلفة والمعارف المتنوعة، وهو كذلك حقا، وما الصراع بين الكنيسة والعلم وبين أهل الرأي والأثر إلا نتاج لانعدام تكامل معرفي يحول بين التشرذم والإقصاء. لهذا وغيره جاءت هذه الورقة للكشف عن مكمن الخلل، وبيان مدى إمكانية تحقق التكامل بين العلوم الدينية والكونية، وكيف يسهم ذلك التكامل في تحقيق السلم المجتمعي؟

كما تسعى الورقة إلى عرض بعض معيقات وتحديات ذلك التكامل المطلوب، وبيان الحلول المتاحة لمواجهتها؟

ولقد كان تصميمها في مقدمة ومبحثين وخاتمة، جاءت وفق منهج استقرائي مقارن، أثمر عددا من النتائج والاقتراحات المتعلقة بالتكامل بين العلوم التي يمكن أن تعزز سلم وأمن المجتمع، مثل اعتبار طلاب العلوم الدينية جزءا حقيقيا وعضوا فاعلا في التنمية والعمارة الفكرية والاجتماعية، وإنشاء مواقع وندوات تناقش مواضيع إنسانية وشرعية بمعية أصحاب العِلمين معا، وترسيخ التقريب بين العلمين عبر المناهج والمقررات الجامعية خاصة، مع الإشارة إلى إمكانية المطلوب وعدم استحالة المرغوب، وكيف لا وقد حقق ذلك التكامل جم غفير من الأعلام، فلم تتوقف عقولهم عند حدود تخصصهم، ولم يعترف شغفهم وحبهم للمعرفة بقوانين التخصصات فاقتحموا كل أبواب المعرفة كونيها ودينيها على حد سواء.

[ **الكلمات المفتاح:** التكامل - الكونية - الدينية - الإنسانية - السلم ]

## Abstract:

The issue of interdisciplinarity indicates the existence of a gap among diverse fields of knowledge. This paper aims to disclose the reasons behind such divergence, the extent to

(1) طالب باحث، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس - المغرب.

which it is possible to achieve integration between the religious and worldly sciences, and how interdisciplinarity could contribute to societal peace.

In addition, the paper exposes the common challenges to interdisciplinarity and the available solutions to tackle them.

The research adopts a comparative inductive approach. It consists of an introduction, two sections and a conclusion. The paper advances a number of suggestions which bear on the impact of interdisciplinarity on peace and security in society, such as the call to reconsider the role of the students of the religious sciences in the intellectual and social development, the creation of forums and seminars that combine both worldly and religious disciplines, and the endeavor to integrate these two sciences in university curricula.

[ **Keywords:** Integration - Interdisciplinarity - Worldly - Religious - Peace ]

## مقدمة:

إن التكامل المعرفي بين العلوم جميعها، سواء الدينية أو الإنسانية الكونية له أصالة زمنية وعمق تاريخي؛ حيث إنه ليس وليد اللحظة ولا حادث الزمن، بل هو قديم قِدم تلك المعارف والعلوم نفسها، إذ العلوم التي جاءت نِتاج علوم الوحي إنما هي في الحقيقة علوم متكاملة فيما بينها، فكل العلوم مطلوبة إما ابتداء أو تبعا.

فعلوم الوحي تحتاج العلوم الإنسانية في التأصيل والاجتهاد، والعلوم الإنسانية تتطلب مستويات مادية وأخرى روحية، ولا يمكن بحال الاستغناء عن بعض العلوم والاكتفاء ببعض، وإلا كان ضررها أشد، وإثمها أكبر.

فمن الخطأ عدم اعتبار الوحدة والتكامل المعرفي الذي لا يعترف بالحدود الوهمية للمعارف، ولا يراعي تصنيفها تصنيفا يمنع من الزيادة في الطلب والتحصيل بين علوم كونية وأخرى عقلية أو علوم دينية وإنسانية، بل الهدف هو تحقيق وحدة معرفية تكاملية تقوم على انصهار الفوارق بين الحقول المعرفية، واعتبار العلوم جميعها كتلة واحدة مطلوبة إما ابتداء أو تبعاً.

ولئن بدى الأمر عسير الوقوع صعب المنال؛ فإن ذلك لن يمنع من العمل وفق مؤسسات ولجان ومجامع لتحقيق التكامل المنشود، سواء على مستوى الجامعات أو المؤسسات التعليمية، أو على مستوى هياكل الدولة، ما دام الغرض هو تحقيق الاستخلاف وتحقق العمارة وركوب قطار الحضارة.

وإن التاريخ الإسلامي خاصة يروي لنا تفاصيل حرص العلماء على تحقيق التكامل بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية، بداية من مطلع العصر العباسي - على الخصوص - الذي سعى فيه الخليفة المأمون إلى إنشاء بيت الحِكمة، والعمل على ترجمة التراث اليوناني والعلوم العقلية، وإعادة التجانس بين العلوم الكونية والعقلية؛ فتمكنوا من بناء أعظم الحضارات الإنسانية التي احتفى بها الأعداء قبل الاخلاء.

فما هي حدود إمكانية الجمع بين العلوم الدينية والعلوم الكونية؟

وإلى أي حد يمكن أن يسهم التكامل بين العلمين في تعزيز السلم والامن المجتمعي؟

وما هي معيقات وتحديات ذلك التكامل المنشود، وما الحلول المتاحة لمواجهتها؟

وكيف يمكن للتعليم الجامعي الإسهام في تحقيق الأمن الفكري ونشر السلم الاجتماعي؟

تلك إذن بعض الإشكاليات التي تمت معالجتها والإجابة عنها ضمن هذه الورقة، مع ذكر بعض الاقتراحات والحلول ذات الصلة بالموضوع.

وقد اعتمدت أثناء معالجة فصول الدراسة وعرض محاورها وفقراتها منهج الاستقراء؛ حيث عنيت بتحرير واستقراء النصوص والأقوال من الكتب المختلفة من غير التقيد بمذهب أو مشرب معين من تلك الكتب. مع الاعتماد على منهج المقارنة بين الحين والحين متى اقتضى الأمر ذلك، إذ الأمور لا تتميز إلا بأضدادها، ولما في المقارنة من بعد عن التعصب وإثراء للفكر.

## المبحث الأول: ماهية التكامل المعرفي والسلم الاجتماعي وثمراته المعرفية

### المطلب الأول: ماهية التكامل المعرفي والسلم الاجتماعي

#### المحور الأول: حقيقة التكامل المعرفي

إن الحديث عن التكامل المعرفي من حيث إنه ضرورة يعتبر نطاقه عاما وشاملا، إذ التكامل المنشود يقتضي أنواعا تكامليا متعددة الأصناف، حيث إنه يتطلب تكاملا بين المصادر نفسها، وتكاملا بين الأدوات، وتكاملا بين المصادر والأدوات، وتكاملا في الطبائع والوقائع، وتكاملا بين العلم والعمل، وتكاملا بين الحقيقة والشريعة، وتكاملا بين عالم الشهادة وعالم الغيب، وتكاملا بين الدين والدنيا، وتكاملا بين النقل والعقل، وغيرها من الصور التكاملية، ولا يخفى ما في ذلك الجمع بين تلك الحقول جميعها من العسر والصعوبة. غير أن المقصود الذي أردنا

في هذا المقام هو التكامل بين علوم الوحي وعلوم الكون حتى تقوم الحضارات وتبنى الذوات ويتحقق مبدأ الاستخلاف في الأرض على الوجه الأمثل.

ففي المعاجم اللغوية أن مادة «كمل» تدل على التمام بعد التجزئة، وتوحي أيضا أن جزء الشيء أو الأجزاء المتعددة للشيء الواحد قد اتحدت وتوحدت واندمجت واختلطت، وأخذت شكلا واحدا، ولهذا فقد اكتمل وتم،[1] ومنه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾. [المائدة/ 3].

وهذا المعنى اللغوي قريب من المعنى الاصطلاحي للتكامل المعرفي حيث إن مضمونه العام يتمحور حول إتمام العلوم بعضها لبعض حتى تحصل المعرفة بالشيء معرفة تامة وحسنة.

والمقصود من نظرية التكامل المعرفي هنا: هي تلك الصورة المتكاملة للوجود والذات وعالم الغيب وعالم الشهادة، المتحققة بتفعيل الرؤية العامة في كل مجالات المعرفة، سواء أكانت علوما طبيعية أم اجتماعية أم إنسانية أم شرعية عقلية أم نقلية.

«وقد يعني التكامل المعرفي تكامل جهود العلماء من تخصصات مختلفة، ولكنها ضرورية لمعالجة مشكلة معينة، وبخاصة في القضايا الإستراتيجية الكبيرة والتطوير العلمي والتكنولوجي المعاصر في مجالات مثل الطب، وقد يتعلق أحد الجوانب الأساسية في هذا النوع من التكامل بإدارة المشروع العلمي وتنظيم أدوار العاملين فيه، لتوفير المعلومة الضرورية لكل خطوة من خطوات المشروع وفي الوقت المناسب، إضافة إلى مواجهة الطوارئ والمستجدات».[2]

وقال الدكتور فتحي ملكاوي في بيان حقيقة التكامل المعرفي وذكر معناه: «.. الإلمام بعلوم متعددة في مقابل الاقتصار على الاختصاص الدقيق، وفي العموم تعنى حاجة العلوم بعضها إلى بعض في نمو العلم وتقدمه من جهة، أو في تطبيقه وتوظيف مبادئه عمليا من جهة ثانية».[3]

لكن هناك من يرى أن هذا الاصطلاح «التكامل المعرفي» يستعمل ويطلق دون تحديد معناه ومن غير تدقيق فحواه بصورة واضحة، بل إنه قد يستعمل استعمالات متعددة بإطلاقات مختلفة ومعاني متباينة متناقضة.

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تح. مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، لبنان، ج5، ص378. الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط8، 2005م، ج1، ص 1054.

(2) دويكات، لين رياض، العلوم الإنسانية والاجتماعية وأهميتها لطالب العلم الشرعي، ورقة بحث، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2017م:
https://repository.najah.edu/bitstreams9098/c6d3-d9b98-4678-eb7-c784e76d6abb/download

(3) ملكاوي، فتحي، مفاهيم في التكامل المعرفي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، عدد: 60، 2010م.



يقول الكاتب لين رياض في هذا السياق: «وقد أخذت بعض المصطلحات موقعا أثيرا في الكتابات الفكريَّة والثقافيَّة، ويَشيع استعمالها دون أن يتمَّ تحديد دلالاتِها بصورة واضحة. ولذلك ليس من الغريب أن تجدَ المصطلحَ يستخدم بدلالاتٍ مختلفة، وربَّما متناقضة.

ولعل هذا هو الحال مع مصطلح التكامل المعرفي. ذلك أنَّ المصطلح يستخدم في كثير من الأحيان ليعني أن شخصا ما موسوعيٌّ في معرفته وثقافته؛ لأنه يلم بكثير من العلوم، ولو كان إلمامه من باب الثقافة العامة وليس المعرفة التخصصية. وفي هذا السياق يجرى التنْويه ببعض العلماء المسلمين الذي اتصفوا بالتكامل المعرفي، بمعنى الموسوعية، في اللغة والأدب، والفقه، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والتاريخ، وربما الفلك، أو الطب، أو الرياضيات. فالإمام الطبري مثلا هو مفسرٌ، ومؤرِخ، وفقيه، وعالِم لغةٍ وشعر».[1]

**المحور الثاني: مفهوم السلم الاجتماعي**

إن أصل العلاقات بين البشر جميعا مبني على التعارف والتدافع لتحقيق مبدأ الاستخلاف وعمارة الأرض التي جاء بها القرآن الكريم لتأكيدها، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تحقيق السلم الاجتماعي والسعي في توفير سبله وأسبابه.

والمقصود به عند الاطلاق: وجود حالة من السلام والوئام والتآزر والاتحاد الإنساني داخل بيئة المجتمع المعاش كعنصر أساسي من عناصر التقدم والتطور في بناء المجتمع وأفراده وكذا استمرارية الوجود البشري.

ولا يتأتى ذلك إلا من خلال بناء علاقاته المجتمعية وقبوله بواقع حالة التعايش السلمي ومد جسور التواصل الاجتماعي بين مختلف أفراده وشرائحه المختلفة وقواه الحية الدينية والعرقية والسياسية والطبقية، وبمدى فهم وتطبيق معاني السلم الاجتماعي القويم.

فاذا كان المجتمع لم تتوافر فيه معاني السلم الاجتماعي بكل تأكيد ستجده مجتمعا متخلفا يعيش في حالة فوضى ومظاهر فوضويته وتخلفه غياب الأمن والامان وحالات القتل والاقتتال وأعمال السلب والنهب والتمادي بالبغي والجور وقويه يأكل ضعيفه وفقدان العدالة والمساواة وغياب النظام والقانون الرادع، وبالتالي يظل واقع السلم الاجتماعي لهذا المجتمع بحالة مخيفه وغير مستقرة ولا آمنة.

في المقابل إذا وجدنا بان هذا المجتمع يعيش بسلام ووئام اجتماعي آمن ومستقر فيعتبر مجتمعا راقيا ومتحضرا وفيه تحقق إمكانية نهوضه وبنائه وتطوره وتعليمه وازدهاره.

---

(1) ملكاوي، مفاهيم في التكامل المعرفي، م. س، ص 6.

وذلك ما يفسر حث الشريعة على الاحسان إلى النفس - وعدم التسبب في هلاكها - والجار والبيئة والحيوان والمخلوقات جميعها، ونهيها عن الإساءة والسعي في الافساد في الأرض والتدمير والتخريب، والدعوة إلى الدخول في السلم وطلب إرساء الأمن.

ففي الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة/ 208].

فاستحضار مقصد ضمان الحقوق وتحصيل المصالح المشتركة بين فئات وشرائح المجتمع وشعور الجميع بمسؤولياتهم المشتركة لأجل حماية سلمهم الاجتماعي والتزامهم باحترام تطبيق العمل بقواعد ومبادئ السلم الاجتماعي المطلوب، وجود وعي مجتمع تعليمي وارشاد ديني مغروس بين أوساط المجتمع بفهم واستيعاب أهمية العمل بمعاني ودلالات السلم الاجتماعي والاهلي باعتباره القاسم المشترك بين الجميع في تعايشهم وتوادهم وتراحمهم اتجاه بعضهم البعض. كل ذلك من شأنه الاسهام في إرساء أسس السلم الاجتماعي المراد، وطلب استمراره وبقائه، والحفاظ على جوهره وأصله من العدم والزوال.

## المطلب الثاني: ثمرات التكامل المعرفية

إن التكامل المعرفي كفيل بصناعة النموذج المعرفي العلمي والنموذج الحضاري، لأن التطور الانساني يقتضي توسيع البحث وإشراك كافة العلوم المسعفة والمساعدة. فالخطأ أن يجتهد الفقيه بعيدا عن المعرفة بالمجتمع ونفسية السائل. فهو ضرورة لتحقيق المنجزات العلمية والحضارية.

وإن التاريخ الإسلامي خاصة يبرز أن العلماء العرب قديما قد حرصوا على تحقيق التكامل بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية، بداية من مطلع العصر العباسي الذي سعى فيه الخليفة المأمون لإنشاء بيت الحِكمة والعمل على ترجمة التراث اليوناني والعلوم العقلية وإعادة التجانس بين العلوم الكونية والعقلية، فتمكنوا من خلال ذلك إلى بناء أعظم الحضارات الإسلامية الإنسانية، أرغمت الأعداء على الاعتراف بها قبل الاخلاء.

تقول الدكتورة عقيلة حسين في بيان الأسس التي عليها تقوم الحضارة وبها تبنى: «أساس بناء الحضارة الإسلامية: الدين والعلم، والدين الإسلامي حث على العلم في أول الآيات نزولا على سيد الخلق ﷺ، والعلم هو أساس التكليف والاجتهاد وصحة الاعمال والأقوال».[1]

(1) حسين، عقيلة، التكامل المعرفي في المنظومة التعليمية الجامعية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، عدد: 4، 2012م.

فكل واقعة خلفت فجوة بين العلوم الدينية والعلوم الكونية أو بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية - مشكلة الثقافتين - تعتبر بمثابة ناقوس خطر وطريق فشل النهضة العلمية والحيلولة دون قيام الحضارة.

حيث إن الحضارة تستلزم خدمة المعارف بعضها لبعض، وانصهارها في قالب واحد يروم خدمة الانسان وبناء العمران، وهو ما يجعل الخروج من نفق التخصصات العلمية إلى رحابة التكامل المعرفي أمرا ضروريا للنهضة العلمية والحضارية.

## المبحث الثاني: ضرورة التكامل المعرفي ودوره في تعزيز السلم

### المطلب الأول: ضرورة التكامل المعرفي

لقد اهتم عدد من علماء الشريعة بالعلوم الفقهية والدينية اهتماما بليغا وعكفوا عليها أيما اعتكاف، وكان اهتمامهم ذلك على حساب العلوم الطبيعية والإنسانية، التي أهمل البحث فيها مع الأزمنة الأخيرة من عمر الحضارة الإسلامية، وأدَّى هذا الفصل التعسفي بن العلوم إلى جمودها وتحجر مناهجها، ولم يتمكن العقل الإسلامي من توليد علوم ومعارف جديدة، واكتفى بما خلفه السابقون من العلوم والمعارف.

وتلك آفة أظهرت نماذج تنظر إلى المعارف والعلوم وتصنفها إلى علوم شرعية وعلوم غير شرعية.[1]

غير أن من ذهب ذلك المذهب أغفل - أو كاد - أن التكامل المعرفي بين العلوم سواء الدينية أو الإنسانية الكونية له عمق تاريخي وأصالة زمنية، فهو قديم قدم تلك المعارف والعلوم نفسها، لأن العلوم التي جاءت نِتاج علوم الوحي إنما هي في الحقيقة علوم متكاملة فيما بينها، فكل العلوم مطلوبة إما ابتداء أو تبعا.

وإلى هذا المعنى يشير عالم أهل الأندلس ابن رشد الحفيد حيث قال: «إن العلوم صنفان: علوم مقصودة لنفسها وعلوم مسددة للإنسان في تعلم العلوم المقصودة في نفسها»[2].

فعلوم الوحي تحتاج العلوم الإنسانية في التأصيل والاجتهاد، والعلوم الإنسانية تتطلب مستويات مادية وأخرى روحية.

---

(1) باشة، عبد الحليم مهور، دور التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الإنسان في فهم الواقع، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، عدد 1، 2016م، ص 177.

(2) ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد، الضروري في صناعة النحو، تح. منصور علي عبد السميع، دار الصحوة، ط1، 2010م، ص 22.

وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل، فلقد حصل شبه إجماع من النظار على أنه خير تمثيل لهذا التكامل[1]، إما لقوته الاستيعابية وقدرته على احتواء كثير من قواعد العلوم والمعارف الأخرى.

وإننا إذا نظرنا سير السابقين من علمائنا وجدناهم جسدوا هذا المعطى وحققوا ذلك التكامل: فلقد كانوا علماء موسوعيين متبحرين في جل العلوم ينهلون من كل المعارف وحياض الفنون، ومشاركاتهم وتآليفهم شاهدة على ذلك ومنبئة بما هنالك.

فالإمام الغزالي كان فقيها أصوليا فيلسوفا لغويا مربيا، وابن رشد طبيبا فقيها فيلسوفا لغويا وقاضيا، والعز بن عبد السلام كان عالما بالفقه والمقاصد واللغة والأصول وفصول السياسة والحكم، وابن خلدون عالما بالاجتماع مؤسسا له فقيها قاضيا لغويا وابن حزم والسيوطي وابن تيمية وغيرهم من الأعلام الذين يعسر على الباحث أن ينسبهم لتخصص معين، على اعتبار أنهم شاركوا بالكتابة والتأليف في جل مجالات المعرفة، وشتى أنواع الثقافة والفنون، وما ذلك إلا لأنهم نظروا إلى العلوم الإنسانية على أنها ضرورة بها تتم العلوم الدينية.

لهذا وغيره فقد سعى العديد من الباحثين لتأصيل إسلامي لهذه العلوم، ولعل الفاروقي -رحمه الله تعالى- كان أول[2] من أسس لهذا التوجه ودعا في العالم العربي والإسلامي إلى أسلمة العلوم ومد جسور الصلة بين العلوم جميعها، وإجراء تعديلات جوهرية قدر الإمكان في طبيعة الدراسات الاجتماعية، وإعادة قراءتها حسب المنظور الإسلامي.

## المطلب الثاني: دور التكامل في تعزيز السلم

إن آفة غياب وحدة معرفية وتكامل علمي مؤذن بخراب البلاد وهلاك العباد جراء ما يحصل من سوء في التقدير وسلامة في التنظير.

قال شهاب الدين القرافي رحمه الله: «وكم يخفى على الفقيه والحاكم، الحق في المسائل الكثيرة بسبب الجهل بالحساب والطب والهندسة، فينبغي لذوي الهمم العالية أن لا يتركوا الاطلاع على العلوم ما أمكنهم...».[3]

ويقول الدكتور بعمر محمد: «فالواقع المعاصر اليوم يعرف تطورا كبيرا في العلوم بقسميها الإنساني والطبيعي، والفقيه في أمس الحاجة الى معرفة هذه العلوم في بناء فتاويه واجتهاده،

(1) طه، عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1994م، ص93.

(2) طه، عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، م. س، ص190-191.

(3) القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي العلاء، أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتاب، لبنان، ج4، ص11.

وإذا استعصت عليه هذه المعرفة كان من الواجب عليه الاستعانة بالعلماء المتمكنين بمجال تخصصهم».[1]

وإن علماء الشريعة قد أدركوا خطورة ذلك قديما فاشترطوا فيمن يُنتصب للاجتهاد والفتوى شروطا تضمن لصاحبها صفة التكامل أو تكاد، وذلك من قبيل تحقيق العلم بالنصوص الشرعية ومواطن الاجماع واللغة ودلالاتها، والواقع ومتغيراته.

ولذلك فإن النبي ﷺ كان منهجه مستوحى مما يجري في وسطه ومجتمعه، فكان عليه السلام في سنته يمثل تجسيدا للربط بين المنهج القرآني والواقع.[2]

لهذا وغيره فإن النبي ﷺ قد ذم على بعض أصحابه جمودهم على النص والتصدر للفتوى دون مراعاة فهم الواقع ومآلات الفتوى والاجتهاد، وهي كلها وحدات يكمل بعضها بعضا، فتنأى بصاحبها عن الخطأ الصريح، وتدنوا به من الصواب الصحيح الرجيح.

ففي حديث جابر - رضي الله عنه - الذي أخرجه أبو داود[3] وغيره، أنه قال: «خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجرٌ فشجه في رأسه فسأل أصحابه هل تجدون لي من رخصة؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على رسول الله أخبر بذلك فقال: قتلوه قتلهم الله...» الحديث.

فهلاك هذا الصحابي إنما كان نتيجة غياب تكامل معرفي وعدم توفيق في التنزيل للفتوى، وذهول عن مآلات الفتوى ونتائجها، ما جعل النبي ﷺ يغلظ القول: قتلهم الله.

كما أن غياب وحدة المعرفة والتقوقع داخل التخصصات والتعصب لتلك التحزبات والجماعات نذير بصراعات تحول دون التقدم العلمي والحضاري.

فتجد على سبيل المثل مدارس تتمسك بالرأي وأخرى بالأثر وبينهما جسور الوصال لم تفلح في التوحيد بين تلك التخصصات والمناهج وتدفع عنها القطيعة، وتجد ثلة تقرب المنطق وتعتمده، وأخرى تحرمه وتمنعه، من غير سعي إلى تقريب المناهج ومحاولة للتصالح بين الفكرين، كل يدعي الحق وينفرد بالحقيقة.

كل يدعي وصْلا بليلَى ... وليلَى لا تُقر لهم بذاكَ

(1) عقيلي، إبراهيم، تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط1، 1994م، ص 133.

(2) م. ن، ص44.

(3) أبو داوود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح. شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، 2009م، ج1، كتاب: الطهارة، باب: في المجروح يتمم، ح: 336.

ولقد عرفت القرون الأولى صوراً من هذا الصراع الناشئ عن عدم الإيمان بإمكان تكامل معرفي يجمع كل الأطياف والفرقاء ويوحد الصفوف.

فلقد كان الصراع على أشده بين من يرجى توحدهم واعتصامهم: صراع بين الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والاتهام بالكفر والزندقة والفسق لعدد من الفلاسفة المسلمين كابن رشد وابن طفيل وغيرهم، صراع بين الفقهاء والمتصوفة، صراع بين أهل الفقه وأهل الحديث.

فقد روي عن الامام أحمد رحمة الله عليه -وهو الذي كان يمثل مدرسة أهل الأثر- أنه قال: «كنا نلعن أهل الرأي ويلعنونا حتى جاء الشافعي فألف بيننا».(1)

هذا الصراع المشرقي مثله ما كان في الغرب كذلك بين الكنيسة من جهة والعلماء المبدعين والفلاسفة من جهة أخرى.

فقد ارتكبت في حق العلماء والأطباء والفلاسفة والنوابغ مجازر وتم التنكيل بهم فتم حرق وشنق الكثير منهم.

كان ذلك بسبب التعصب والإقصاء وغياب نظرة أساسها إمكان تكامل معرفي بين كل المعارف وجل المشارب والعلوم الدينية والإنسانية عامة، تكامل يحول بين الإرهاب وعدم الاستقرار ويرسي السلم والأمن لأفراد البشرية جمعاء.

يقول الكاتب عبد المجيد حنان مبينا ما تجنيه البشرية بهذا التكامل المراد بين العلمين، وما يسهم فيه من دفع حالة التشتت الذي يعصف بالأمة جراء غيابه:

«وتحقيق هذا التكامل يرمي إلى تخفيف حالة التشتت المرجعي الذي يعيش فيه الواقع الإسلامي المعاصر نتيجة الفصام بين علوم الدين وعلوم الدنيا، باعتبار أن هذا التكامل سيحول دون تعميق حالة الغياب والانسحاب الحضاري الذي تعيش فيه أمتنا منذ أمد طويل نتيجة فصل أبنائها بين شؤون دينها وشؤون دنياها».(2)

وهذا سبب كاف للدعوة إلى توحيد المناهج والرؤى، واعتماد التكامل المعرفي منهج دراسة وتأليف، فهو السبب الأنسب لتوحيد الصفوف، وتأكيد الاتفاق ودفع الافتراق والشقاق،

---

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح. ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، ج1، ص 91.

(2) عبد المجيد، حنان، «العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الدينية»، دورة: بين علوم الشريعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والكونية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، 19 يونيو، 2012م.

والسعي في بسط سبل السلم وتحقيق الامن، وصنيع الامام الشافعي رحمة الله عليه عن طريق علم أصول الفقه الذي ألف به بين أهل الرأي وأهل الأثر خير شاهد ودليل على ذلك.

وصنيع الإمام ابن رشد أجل وأعظم، حيث إنه سعى من خلال كتابه «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» إلى محاولة التقريب والصلح بين الحكمة والشريعة بين العلوم الدينية والعلوم الإنسانية من خلال استحضار جدلية النقل والعقل التي ظل يتخبط فيها الفكر العربي الإسلامي قرونا عديدة، خلفت صراعات ضاعت معها الأعمار وأهدرت فيها الأوقات. فخاطب الفقهاء عبر ذلك الفصل وطرح العلاقة بين الدين والمجتمع ووجوب النظر في الموجودات، وأن الفلسفة لا تعدوا أن تكون إلا حكمة ونظرا إلى الموجودات، وبالتالي لا تعارض بين الفلسفة والشريعة ما دام أن كليهما يعتبر سبيلا للتعرف على الخالق.

يقول الدكتور عبد الحليم مهور باشا في مثل هاته المعاني: «إن تصنيف العلوم إلى علوم نقلية وأخرى عقلية، أو دينية وإنسانية من غير سعي جاد لمد جسور التواصل بين الحقلين يؤدي لا محالة إلى ثنائية تضع العقل في مقابل الوحي، وتنشأ عنها أزمة «إبستيمية» حادة تعصف بعلوم الوحي بمختلف التخصصات والمجالات، نتيجة عدم قدرتها على الاستفادة من المنجزات التي ولدها العقل الإنساني، فتبقى حينئذ حبيسة الممارسات المنهجية التقليدية.[1]

فالصورة التكاملية رغم كل ذلك لم تكن منعدمة بل كانت موجودة منذ القدم مع علماء الشريعة في المضمون العلمي للجامعات الإسلامية القديمة - القيروان، القرويين، الأزهر، الزيتونة، الأندلس وغيرها - والتي كانت تحتضن جل المعارف والفنون وتعبر بشكل نسقي عن نماذج معرفية للعلوم الإسلامية، وتتفاعل مع النظام المجتمعي وقوانينه، وتحتضن كيانه وهويته، وتحافظ على ثوابته وسياساته، وتضمن وجوده واستمراره.

لأن الاشتراك في حل مشكلات المجتمع جميعها، وطلب تذويب الخلافات، والسعي لتحقق السلم الاجتماعي والأمن المجتمعي والنهضة العلمية والحضارية لا بد أن يكون بمعية جميع مؤسسات المجتمع ومكوناته الدينية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية والفلسفية حتى تتظافر جهود علماء العلم الشرعي والاجتماعي والإنسانية للوصول الى حلول، فكل علم بحاجة للاستفادة من الآخر من العلوم الأخرى للخروج بنتائج أفضل للمجتمع المتكامل، والحضارة الإسلامية إنما قامت على المزاوجة بين الدين والعلم وليس على إقصاء أحدهما للآخر، أو الفصل بينهما.

(1) باشة، دور التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الإنسان في فهم الواقع، م. س، ص 206.

فيُنتقى لكل تخصص من هو أهل له ويُجتهد في النازلة كل حسب موقع ومجاله فتُجمع الاقوال وتُوحد الآراء وتستنبط الاحكام بمعية كل ذلك دون إقصاء لحقل من الحقول.

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي في بيان أنه لا حرج في الاشتغال على التخصصات الدقيقة، وأن ذلك من أسباب تسهيل إصدار الفتاوى والاحكام على النوازل ما دام أن ذلك سينتظم عبر عمل جماعي: «... وإذا قلنا بتجزؤ الاجتهاد كما هو رأي الاكثرين فالأمر أسهل وأسهل. فهناك من العلماء من عكفوا على فقه الاسرة أو الأحوال الشخصية وتفرغوا له وأتقنوه، ونفذوا إلى أعماق مسائله... وآخرون تفرغوا لفقه المعاملات المالية أو الجانب الاقتصادي في التشريع الإسلامي... وغيرهم اهتم بالفقه الجنائي او الإداري أو الدستوري فهم مجتهدون فيما تخصصوا فيه».(1)

وقد اتفق الباحثون في الشأن التربوي خاصة على ضعف وهشاشة المنظومة التعليمية في بعض الدول العربية، وهذا واضح من خلال مجموعة من المؤشرات والعلامات، ولعل أوضحها وأجلها ما وصل إليه المجتمع الإسلامي بكل أطيافه من انتهاكات صارخة للقيم الإسلامية والإنسانية، وغياب ثمرات العلم والتعلم في بناء وعي سليم وحضاري في المجتمع، وكذا تحصين النفس من الانحرافات والانزلاقات اللاأخلاقية.

فالتكامل بين علم الاجتماع والعلوم الشرعية لطالب العلم الشرعي يعتبر مساعدا للعلوم الشرعية في محاولة توطيد العلاقات بين المجتمع والمؤسسات الدينية لفهم واقع الناس ومتغيرات عصرهم، وقد يحقق هذا التكامل فهم عميق للقوانين الاجتماعية التي تحكم ظواهر المجتمع وبالتالي لا يكون طالب العلم الشرعي بمعزل عن مجتمعه ومتطلباته.(2)

فالمتخصص في علوم الشريعة ستستوقفه الكثير من الآيات والأحاديث والوقائع؛ التي تُعنى بالجانب الاجتماعي، وتخاطب الإنسان بطبيعته، وتشرح حقيقة المجتمعات، وكيفية النظر إليها والتعامل معها، وهي بارزة في مواضع ومظان كثيرة، غير أنّها تحتاج لمن يستخرجها ويوضحها، وهي لا تقلّ أهميّة عن الأحكام الفقهية، لأنّ الأحكام الشرعية أو الفقهية متعلّقة بالجانب العملي في أداء العبادات على وجهها المُناط بها، فيما الجوانب المتعلّقة بالأطر الإنسانية متعلّقة بالفكر ورعاية سنن الله في خلقه، ومدى تطابق أحكام التكاليف مع أحكام الوضع.

---

(1) القرضاوي، يوسف، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، دار القلم، ط3، 1999م، ص112.

(2) سنجق، رانيا، أهمية علم الاجتماع: (2022/07/18):

https://mawdoo3.comأهمية_علم_الاجتماع/



## خاتمة:

إن أساس بناء الحضارات خاصة كان قائما على الدين والعلم، فالدين باعتباره ضابطا للعمل البشري مهذبا لسلوكياتهم وتصرفاتهم، والعلم باعتباره محركا للعقل، فالتكامل بين الدين بوصفه نصا والعقل بوصفه مستنبطا للعلم من النص، أدى إلى ظهور علوم دينية وإنسانية كثيرة ومتنوعة، والتي أثرت في بناء الحضارات قديما بناء قويما ومتينا.

فوحدة المعرفة والتكامل بين الحقول المعرفية بالإضافة إلى كونه سببا لتحقيق الأمن الفكري والسلم الاجتماعي، فإنه يتيح مجالا أوسع لمعالجة جل مشكلات العصر كل حسب تخصصه وقدراته، ويسهم في بناء الإنسان والأوطان، وتحقيق التقدم والازدهار، وإن التخصص العلمي يصبح سلبياً إذا ما انزوى المتعلم داخل تخصصه، خاصة في زمن تفشت فيه المفاهيم المغلوطة، وقل فيها منسوب الأخلاق، ودرس فيه الجانب الإنساني، وانتش التطرف والغلو والإرهاب انتشار النار في الهشيم.

فاستدعت كل تلك الأسباب وغيرها لزوم إعادة النظر وورد الاعتبار لقضية وحدة المعرفة داخل الجامعات والمعاهد، قصد الارتقاء بالعملية التعليمية التعلمية لكونها الرهان الأهم للتنمية الفردية والمجتمعية، وهي الطريق الأكثر نجاعة في تحديد حاضر الأمة ومستقبلها.

المتخصصون في العلوم الإنسانية مدعوون لدراسة ظواهر الميل عن الحق، والتي قد تدفع الشباب لانتهاج سلوكيات منحرفة تتعارض والدين والعادات والتقاليد، وسلوكيات متطرفة توقع بصاحبها في دائرة التطرف والغلو.

والمتخصصون في العلوم الدينية مطالبون بإجراء دراسات شرعية دينية تجرم التفكير في الدخول ضمن زمرة التطرف والغلو، وتهذيب الخطاب الموجه للشباب خاصة، وكذا تهذيب المقررات الدراسية الجامعة مما قد يساء فهمه ممن في نفسه شيء من حتى، حتى يواجه ذلك الانحراف الفكري والسلوكي ويتعزز الأمن والسلام بين أفراد البشرية جمعاء.

فلذلك وغيره كان واجبا على طلبة الشريعة الإسلامية إدراك الحد الأدنى من العلوم الكونية بالقدر الذي تتحقق معه معرفة مكونات الكون ومكنوناته العلمية وأسراره، من خلال الاطلاع على بعض العلوم الكونية وبذل الوسع في إدراك حقيقتها كعلم الطب والهندسة والفيزياء والفلك وغيرها من العلوم التي تنجي من خلالها أسرار الكون ومكوناته، ومعرفة أجزائها وأنواعها ومقاصدها، ولو اقتضى الأمر أن تكون تلك المعرفة معرفة سطحية من غير تعمق، فما لا يدرك كله لا يترك أقله، هذا بالإضافة إلى إدراك ارتباط هذه العلوم الكونية بعلوم الوحي وتأثرها به، حتى تتم للطالب رؤية واضحة للوجود وحقيقته.

وأما طلبة العلوم الكونية فيجب عليهم كذلك الاطلاع على بعض علوم الوحي كتفسير القرآن الكريم والعقيدة والسيرة النبوية وغيرها حتى تستقيم من خلال ذلك سلوكياتهم وأفكارهم وتمتد جسور الوصال بين ما هو ديني وما هو كوني.

وكذلك كان السابقون حيث إنهم وفقوا بين ما هو ديني وكوني وسخروا كلا العلمين معا لخدمة البشرية وتعزيز أمنها وتكريس سلامها، ولا يتم لنا ذلك إن نحن أردناه إلا بما تم به عند من سبق.

وها هي ذي بعض الاقتراحات التي يمكن أن تسهم في تحقيق وحدة معرفية وتكامل معرفي تنعم البشرية من خلاله بالسلام، وتتقلب البرية به في السلام:

- عدم اعتبار العلوم الاجتماعية والإنسانية علوما مجردة عن العمل ليست لها قيمة ولا ترتجى منها منفعة، إذ الحقيقة أنها ليست كذلك، فهي التي تحكم نظم العالم، ومعرفتها سبيل لمعرفة أسس النهضة الشرعية، والنهضة الفكرية سواء، وإهمالها إهمال لما به تدرك مواطن الاختلال وأسباب الاتزان.

- العمل على تنظيم لقاءات وندوات مع الطلبة المتخصصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية والدينية، وكذا تمكين طلبة العلوم الدنية من الاطلاع على المستجدات المعاصرة في الواقع، والعمل على دراستها من ناحية شرعية دينية واجتماعية ونفسية.

- كون طلاب العلوم الدينية جزءا حقيقيا وعضوا فاعلا في التنمية والعمارة الفكرية والاجتماعية، والقدرة على تقديم الحلول والمقترحات والفتاوى الشرعية التي تنسجم والواقع الإنساني، عوض الجمود على النصوص وتقديسها من غير اعتبار للواقع والأحوال، بل لا بد من الاجتهاد والاستنباط والتعامل مع النصوص بما يخدم المجتمع ويدعم أمنه واستقراره، إذ الفتاوى والأحكام تخضع لضرورة الزمان والمكان والأشخاص والأعراف والتقاليد.

- إنشاء بعض المواقع إلكترونية والمراكز التي تروم مناقشة القضايا المجتمعية والإنسانية المعاصرة، تضم أفرادا باحثين متخصصين في العلوم الدينية والاجتماعية والإنسانية والتربوية هدفها العام الاستفادة من التجارب الإنسانية السالفة وتطويرها للمستقبل.

- العمل على التوفيق بين بعض الشعب الجامعية أو تخصيص شعبة توفق بين ما هو علم ديني وما هو علم كوني.

فتدرس العلوم الاجتماعية والإنسانية والشرعية مع الخطط الدراسية لكل علم، فيستفيد الطلاب من كل العلوم، ولو اقتضى الأمر أن يكون إلمامهم ببعضها أكثر من بعض فشيء خير من لا شيء.

## لائحة المصادر والمراجع


• ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد، الضروري في صناعة النحو، تح. منصور علي عبد السميع، دار الصحوة، ط1، 2010م.

• أبو داوود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح. شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، 2009م، ج1، كتاب: الطهارة، باب: في المجروح يتمم.

• باشة، عبد الحليم مهور، دور التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الإنسان في فهم الواقع، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، عدد 1، 2016م.

• بنعمر، محمد، من الاجتهاد في النص إلى الاجتهاد في الواقع، دار الكتب العلمية، 2009م.

• حسين، عقيلة، التكامل المعرفي في المنظومة التعليمية الجامعية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، عدد: 4، 2012م.

• دويكات، لين رياض، العلوم الإنسانية والاجتماعية وأهميتها لطالب العلم الشرعي، ورقة بحث، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2017م:

https://repository.najah.edu/bitstreams9098/c6d3-d9b98-4678-eb7-c784e76d6abb/download

• سنجق، رانيا، أهمية علم الاجتماع: (2022/07/18):

https://mawdoo3.comأهمية_علم_الاجتماع/

• طه، عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1994م.

• عبد المجيد، حنان،» العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الدينية »، دورة: بين علوم الشريعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والكونية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 19 يونيو، 2012م.

• عقيلي، إبراهيم، تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط1، 1994م.

• الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تح. مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، العين، دار الهلال، لبنان، ج5.

• الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط8، 2005م.

• القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح. ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، ج1.

• القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي العلاء، أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتاب، لبنان، ج4.

• القرضاوي، يوسف، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، دار القلم، ط3، 1999م.

• ملكاوي، فتحي، مفاهيم في التكامل المعرفي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، عدد: 60، 2010م.